﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣﴾ [البقرة: 83]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمّا ذكرَ اللّهُ في الآيةِ السابقةِ أنّ من كَسَبَ سَيِّئَةً وأَحاطَت بهِ خطيئتُه هم أصحابُ النَّارِ، شرعَ في ذكرِ الأدلَّة على ذلك بذكرِ تَوَلّي بني إسرائيلَ عن أخذِ العَهدِ وإعراضِهم عنه، كما أنّ هذِهِ الآيةَ وردت بصيغةِ خطابِ بني إسرائيلَ ليجمعَ الأسلافَ والأخلافَ؛ لتكونَ مدخلًا إلى خطابِ المعاصرين لزمنِ نزولِ القرآنِ الكريم، فالـمَقصُودُ الأَوَّلُ من الخطابِ إثباتُ سُوءِ صَنيعِ الـمَوجُودِينَ في زَمَنِ القرآن، وبيان أَنَّهم مُخاطَبون بما خُوطِبَ به أسلافُهُم ومُكَلَّفُون بما كُلِّفُوا به، فهذا الميثاقُ لا يُنسَخُ بتغيّرِ الزّمانِ والـمَكَان[1].

❁ شَرْحُ الـمُفْرَدَاتِ:

1) ﴿مِيثَٰقَ﴾: على وزن (مِفْعَال) منْ وَثَقَ، والوَاوُ وَالثَّاءُ وَالقَافُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى عَقْدٍ وَإِحْكَام. وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ: أَحْكَمْتُهُ، ووَثِقْتُ به أَثِقُ ثِقَةً: سكنتُ إليه واعتمدتُ عليه، وأَوْثَقْتُهُ: شدَدْته.. والـميثاقُ: العهدُ أو العقدُ المؤكَّدُ بيَمينٍ وعَهدٍ، وَهُو في الأَصل حَبلٌ أَوْ قيدٌ يُشدُّ بِهِ الأَسيرُ وَالدَّابَّةُ، وَالجَمْعُ مَواثِيقُ عَلَى الأَصلِ بوزنِ مَفاعِيل[2].

2) ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾: الأبُ يقالُ له وَالِدٌ، والأُمُّ وَالِدَةٌ، وقيل للأبِ والأُمِّ الوالدانِ تغليبًا مثلُ الأبَوَين؛ لأنّ المذكّرَ والمؤنّثَ إذا اقتَرَنا غلبَ المذكّرُ لخفّتِهِ وقوّتِهِ[3].

3) ﴿إِحۡسَٰنٗا﴾: أصلُ الكَلِمَةِ (حَسَن)، والحُسْنُ اسمُ جنسٍ لكلِّ أنواعِ الخيرِ، ويقابله السَّيِّئُ، ومنه الحَسَنَةُ والسّيئةُ، والإحسانُ يُطلقُ على الإنعامِ على الغَير وعلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/582.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة ، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (وثق).
(3) الرّاغب، المفردات: (ولد).

الفعلِ الحَسَنِ، فيقالُ: أحسَنَ في عملِهِ، والإحسانُ فوقَ العدلِ وأفضلُ منه؛ لأنّ المُحسنَ يُعطي أكثرَ ممّا عليهِ، وهو فضلٌ، والعادلُ يُعطي ما عليه، وهو واجبٌ، والإحسانُ بالوالِدَين: القيامُ بكلِّ ما يطلقُ عليه حسنٌ معهُما، ومنه البِرُّ بهما والعطفُ عليهما والنّزُولُ عِنْدَ أَمرِهِمَا فِيما لَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ تَعالَى[1]، والدُّعاءُ لهما بعدَ مماتِهما.

4) ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: على وزنِ فُعْلَى، والقَريبُ والقَريبة ذُو القَرابةِ، والجَمعُ مِن النّساءِ قَرائِبُ، ومِن الرِّجَالِ أَقارِبُ، والقَرابَةُ والقُربَى: الدُّنُوُّ في النَّسب[2].

5) ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: جمعُ يَتيم، ويدور معنَى اليُتْم على انفرادِ الشَّيءِ عن مُجانِسِه مُستقلًّا بذاتِه، ومنه اليُتم، بمعنى: انقطاعِ الصَّبيِّ عن أبيه قبلَ بلوغِه لانفرادِه بذاته، وكلُّ منفردٍ يَتِيمٌ، يقال: دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ، تنبيهًا على أَنه انقطعَت مادّتها الّتي خرجَت منها، وقيل: بَيْتٌ يَتِيمٌ؛ تشبيهًا بالدّرّة اليَتِيمَةِ[3].

6) ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: جمعُ المِسكين، مِنْ (سَكَن)، ويَدُلُّ عَلَى استقرارٍ في جوفِ حيِّز أو باطنٍ: كالقُوتِ في الجوفِ، وكهُمُودِ ما يُذْبح بالسِّكين في مكانِه، ومنه السَكَن للبيتِ والمنزلِ؛ لِأَنَّ الساكنَ يستقرُّ في جوفِه؛ فالسّكنُ خِلَافُ الِاضطِرَابِ وَالحَرَكَةِ، والمسكينُ القارُّ الصّابرُ على ما هو فيه، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المسكينَ سُمِّيَ مسكينًا؛ لأنّ الحاجةَ أسكَنَتهُ[4].

7) ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: على وزن (تَفَعَّلتُم)، وأصله من الوَلْيِ بمعنى القُرْبِ، والوليُّ والمُوالي يستعارُ ذلك للقربِ من حيثُ المكانُ، ومن حيثُ النِّسبةُ، ومن حيثُ الدِّينُ، وتَوَلَّى بحسبِ المُتعلَّقِ يأتي بمعنيين: أحدهُما: الإقبالُ المُقتضي القربَ؛ وذلك إذا عُدّي بنفسِه، أو بـ(إلى) كقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144]، الثّاني: بمعنَى الإعراضِ إذا عُدّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا؛ فإذا قيل: (تولّى عن فلانٍ) فالمعنى انصرفَ عنه، وقد يكونُ بإدبارٍ، وقد يكونُ بغير إدبارٍ، ومنه قولُه

(1) الرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (حسن)، والبغوي، معالم التنزيل: 1/139.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(3) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (يتم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سكن).

تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: 63]، والتَّوَلِّي قد يكونُ بالجِسمِ، وقد يكونُ بتركِ الإصغاءِ والائتِمَارِ[1].

8) ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: أصلُ الكلمةِ مِنَ العَرْضِ الَّذي يُخَالِفُ الطُّولَ. وإذا عُدِّيَ الفعلُ بـ(عن) أفاد التَّوليَ عن الشّيء، ومنه أَعْرَضْتُ عَنْ فُلَان، وأَعْرَضْتُ عَنْ هَذَا الأَمْرِ، وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، إذا ولَّى مبديًا عَرْضَهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: 63]، وربّما حَذَفَ (عنه) استغناءً عنه نحو: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: 48][2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ذَكَّرَ اللّٰهُ تعالى في الآيتين الكريمتين بَنِي إسرائيلَ - الحاضِرينَ في زمَنِ نُزولِ القرآنِ الكريمِ - بِمَا أَخذَهُ على أسلافِهم من العهدِ، ممَّا لا يَخلُو منه شرعٌ؛ لاشتمالِ الميثاقِ على المصالحِ العامّةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فذَكَرَ ميثاقًا اشتملَ على التّوحيدِ ومكارمِ الأخلاقِ والعبادةِ، فبيّنَ لهم أهمَّ ما أُمروا به في هذا الميثاقِ بأنْ لا يَعبدوا إلّا اللّٰه، وأنْ يُحسِنُوا إلى الوالِدَين إحسانًا، وأنْ يُحسِنُوا إلى الأقرباءِ وإلى الضّعفاءِ في المجتمعِ من اليتامَى الّذين لا أبَ لهُم، وهم صغارٌ لم يبلُغُوا بعدُ، ومنَ المساكينِ الّذين أسكنَتهُم الحاجةُ أو المرضُ وهم الذين لا يملكون ما يَكْفيهم ويسدُّ حاجَتهم، وأمرَهم بمعاملةِ النّاسِ جميعًا - وفي كلِّ أحوالِهم - بالقولِ الحَسَنِ، ودعاهُم إلى العباداتِ من الصلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ، الّتي تتآلفُ مع التَّوحيدِ ومكارمِ الأخلاقِ، ثم أَعْرَضْتم ونقضتم العهد على عادتِكم السَّابقةِ وطريقتِكم المألوفةِ -إلا قليلًا منكم ثبت عليه مِمّنْ أقامَ اليهوديّةَ على وجهِها قبلَ النَّسخِ، ومَنْ دخلَ في الإسلامِ منكم- وأنتم مستمرّون في إعراضكم.

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ تصديرِ الكلامِ بـ ﴿إِذْ﴾:

﴿إِذْ﴾ ظرفُ زمانٍ أفادَ الشُّروعَ في بيانِ حالةٍ أخرى من أحوالِ بني إسرائيلَ، ممّا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ولي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (عرض).

خالَفُوا به عهدَ اللهِ. وعادةُ القرآنِ إيرادُ ﴿إِذْ﴾ في بدايةِ قضيَّةٍ ذاتِ شأنٍ؛ بأنْ تكونَ ميثاقًا مؤكدًا، أو بيانَ نعمةٍ عظيمةٍ، أو حدَثٍ عظيمٍ؛ فهي تفيدُ التّنبيهَ على أمرٍ عظيمٍ وقعَ في زمنٍ ماضٍ، بحيثُ يستحقُّ ما بعدها مزيدًا من اليَقَظَةِ والتَّنبُّه، وقد أفادَ ﴿إِذْ﴾ بيانَ عِظَمِ الميثاقِ الذي أخذه اللهُ من بني إسرائيل، وَلِذَا فَقَدْ بَيَّنَتْ عِظَمَ الجريمةِ التي وقعُوا فيها بمخالفةِ ما جاءَ في الميثاقِ.

الإشعارُ بشأنِ حَدَثٍ عظيمٍ يحتاجُ مزيدَ تنبُّهٍ واعتبارٍ

دلالة إفرادِ الميثاقِ دون جمْعِه:

جاءَ التَّعبيرُ بإفرادِ ﴿مِيثَٰقَ﴾ دون جمعِه – معَ أَنَّ العهودَ التي أُخِذَتْ عليهم مُتَنَوِّعةٌ وليست شيئًا واحدًا –؛ لمعاملةِ تلك العهودِ معاملة الميثاقِ الواحدِ، فقد أُخِذَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَمَا أُخِذَ من غَيرِهِ، وتنوّعُها بحسب ظروفِ الزَّمانِ والمكانِ والإمكان، فَلَا جَرَمَ كان كُلُّهُ ميثَاقًا وَاحِدًا، وَلَوْ قِيلَ: (مَوَاثِيقَكُمْ) لَأَشْبَهَ أَن يَكُونَ هُنَاكَ مَوَاثِيقُ أُخِذَتْ عَلَيْهِمْ لَا مِيثَاقٌ وَاحِدٌ[1]، وفيه أنَّ الإخلالَ بأحدِ المذكوراتِ إخلالٌ بالبقيَّةِ، فإنَّ المذكورات لا تتجَزَّأُ، ولا يسقطُ أحدُها فيقومُ الآخرُ، وهذا من بديعِ التَّعبيرِ المُنبئِ عن العَدْل.

الإخلالُ بأحدِ المذكوراتِ إخلالٌ بالجميعِ

بلاغةُ الفصلِ بينَ الجُملِ:

جملةُ ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ جاءت مفصولةً؛ لأنّ هذه الجملةَ بيانٌ للميثاقِ، وما بعدها جملٌ معطوفةٌ على الجملةِ المفسّرة؛ فتكونُ الجملُ المتتابعةُ في الآيةِ إلى قوله ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ مفسّرةً ومبيّنةً للميثاق[2]، وتحتملُ أنْ تكونَ بدلًا من الميثاقِ؛ لتكونَ بدلَ بعضٍ من كلٍّ[3].

الميثاقُ كلمةٌ تُبيِّنُها كلمةُ التَّوحيد

(1) الفخر الرازي، التّفسير الكبير: 3/538.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/582.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/159، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/457.

بلاغةُ مجيءِ الإنشاءِ بصُورةِ الخبرِ:

طلبُ المُسَارَعَةِ في الامتثالِ؛ كأنَّ المطلوبَ تحصِيلُ حاصِلٍ

جملة ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خبريةٌ بمعنى الإنشاءِ؛ لإفادةِ النَّهي، فتفيدُ طلبَ إفرادِ العبادةِ للّه تعالى، فالمعنى قُلنا أو قائلين لهم لا تعبُدُوا إلّا اللّه، وهو من المجازِ؛ لِورودِ النّهي بصيغةِ الخَبرِ، فصار الخَبَرُ مُستعمَلًا في غَيْرِ مَعْنَاهُ لِعَلَاقَةِ مُشابَهَةِ النّهي المَوثُوقِ بِامْتِثَالِهِ بِالشَّيءِ الحَاصِلِ حَتَّى إنهُ يُخْبِرُ عَنْهُ، وهو أبلغ من صريحِ الأمر والنّهي، لأنّه طُلب فيه المسارعةُ إلى الامتثالِ والانتهاءِ عن طريقِ الخبرِ[1]، أي: كأنَّه يجب أن يكونَ باعتبارِه تحصيلَ حاصِلٍ.

بلاغةُ الالتفاتِ في الآيةِ:

وقعَ التفاتٌ في الآيةِ من الضَّميرِ إلى الاسمِ الظّاهرِ في قوله تعالى ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ فإنَّ مقتضى ظاهرِ خطابِ المتكلِّمِ ونظمِ الكلامِ أَنْ يقول: (لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّايَ)، وفي العدولِ عن الضَّميرِ إلى الاسمِ الظّاهرِ وجهان بلاغيَّان:

أحدُهما: تفخيمُ عبادةِ اللّهِ، وتذكيرٌ باسْمِه الأحسنِ الجامعِ لصفاتِ الكمالِ والجلالِ.

الآخر: التّناسبُ الحاصلُ في مَجيءِ ما بعدَه من الأسماءِ، فكلّها أسماءٌ ظاهرةٌ، فَنَاسَبَ مُجَاوَرَةُ الظَّاهِرِ الظَّاهِرَ[2].

بلاغةُ القراءاتِ القرآنيّةِ:

لكلّ قـراءةٍ وجهٌ بلاغيٌّ بديعٌ

اختلف القرَّاءُ في قراءةِ: ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ فهي بتاءِ الخطاب في قراءةِ نافعٍ وابنِ عامرٍ وأبي عمرو وعاصِم، وبياءِ الغَيْبَةِ في قراءةِ ابنِ كثيرٍ وَحَمْزَةَ وَالكسَائِيّ[3].

ففي قراءة ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ التفاتٌ بلاغيّ عنِ السَّابقِ، وبلاغتُه:

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/159.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/457.
(3) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 163.

الإقبالُ عليهم بالخطَاب، ليَكُونَ أَدْعَى لِلقَبُولِ، وَأَقْرَبَ لِلامْتِثَالِ؛ إِذْ فِيهِ الإِقبَالُ مِنَ اللَّهِ عَلَى المُخَاطَبِ بالخِطَابِ[1]، وكفى به ترغيبًا في الامتثالِ.

وفي قراءة ﴿يَعْبُدُونَ﴾ التفاتٌ بلاغيّ عن اللَّاحق من الغيبة إلى الخطاب، ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ بعد قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ وبلاغتُه: المبالغةُ في الزَّجرِ والتّعنيفِ والتّوبيخِ، كأَنَّ بني إسرائيل مواجهون الخِطابَ، فخاطبَهم موبِّخًا لهم، هذا إذا حملنَا قولَه تعالى: ﴿مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على تخصيصه بالأسلافِ، أمَّا إذا تناولَ الأسلافَ والمُعاصِرين فلا التفاتَ في قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾، بل هو خطابُ البعضِ من المجموعِ.

دلالة اقترانِ الإحسانِ بالوالِدَين بتوحيدِ اللهِ:

تأكيدُ تَعظيمِ حقِّ الوالِدَين

يظهرُ تعظيمُ حقِّ الوالِدَين بذكرِهما بعد ذكرِ حقِّ اللّه في إفرادِه بالعبادةِ؛ فالخلقُ والنَّشْأَةُ الأولى مِنْ عندِ اللّهِ سبحانَه، والنَّشأةُ الثّانيةُ وهي التّربية؛ فهي من جهةِ الوالِدَين؛ وَلِهَذَا قَرَنَ تَعَالَى شكرَه بشُكرِهما؛ فَقَالَ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[2].

دلالة مجيءِ المصدرِ النّائبِ عن فعلِ الأمرِ:

الإحسانُ بالوالِدَين ثابتٌ لهما لا يُنزَعُ ولا يُخلَعُ

في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أمرٌ بالإحسانِ إليهما؛ ليكونَ مناسبًا للطّلبِ في قولِه: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ كما تقدّم، وإنّما كان ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أمرًا؛ لأنّ ﴿إِحْسَانًا﴾ مَصْدَرٌ مَوضُوعٌ مَوضِعَ فِعْلِ الأَمْرِ، فتكونُ الجملةُ طلبيةً، والتّقدير: أحسِنُوا إلى الوالِدَين إحسانًا، ففيه توكيدٌ وتقريرٌ للإحسانِ إليهما؛ لدلالة المَصدَرِ على التَّأكيدِ، كما أنّ الأمرَ بالإحسانِ تعلّقَ بوَصْفِ الوالديّةِ، فالإحسانُ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/451.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/13.

واجبٌ ما دامتْ صِفَةُ الوالديَّة، وهي صفة ثابتةٌ لا تُنتَزَعُ في حياةٍ ولا في موتٍ.

دلالة الباءِ في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾:

صُحبةُ الوالِدَيْن أمـــرٌ ربَّـــانيٌّ وهـذا من تمامِ الإحسانِ

أفادتِ الباءُ معنى الملابسةِ، كما هو أصل معناها؛ لِيكونَ الأمرُ بالإحسان حالَ كونِه متلبِّسًا بالوالدين لا ينفكُّ عنهما، ففيه معنى الصُّحبةِ والمجاورةِ وعدمِ الانقطاعِ عنهما بحالٍ.

بلاغةُ التّقديمِ والتّأخيرِ:

حقُّ القرابَةِ تابعٌ لحقِّ الوالِدَين

قُدِّمَ ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ على المصدر النّائبِ عن فعلِ الأمر اعْتِنَاءً بِمُتَعَلَّقِ الحَرفِ، وهُمَا الْوَالِدَان، وَاهتِمامًا بِأَمْرِهِمَا[1]، فأفادَ قَصْرُ الإحسانِ المطلقِ عليهما، فأصلُ الكلام: وإحسانًا بالوالِدَين، فلمّا قدّم الجارَّ والمجرورَ ظهرت النُّكتةُ البلاغيَّةُ، وقُدِّمَ ذكرُهما على ذي القُربَى؛ لِأَنَّ حقَّ القَرابةِ تابعٌ لِحَقِّ الوالِدَيْنِ، والإحسانُ إليهم إنَّما هو بواسطةِ الوَالِدَيْنِ[2].

نكتةُ إفرادِ ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾:

أفردَ النّظمُ ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فلم يقل: (الأقرباءُ)، بل ورد على صيغةِ اسم الجنسِ، وأضافَ إليه ﴿وَذِى﴾ بمعنى صاحِب، لِأنّهُ أَرَادَ بِالقُربى الجِنْسَ، ولِأنّ إِضَافَتَهُ إِلَى المَصْدَرِ يَنْدَرِجُ فِيهِ كُلُّ ذِي قَرَابَةٍ[3]، كما أنّه نبّه إلى أَنَّ وجهَ مناسبةِ الإحسانِ إنّما هو لِمعنى القَرابةِ.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ:

قَرَأَ ابن كثيرٍ وَأَبُو عَمْرو وَنَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَابنُ عَامر: ﴿حُسْنًا﴾، وقرأ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿حَسَنًا﴾[4]، فأمّا قراءةُ: ﴿حُسْنًا﴾ على المصدريّة فللمبالغةِ فيه؛ فإنّ الإخبارَ بالمصدرِ أو الوصفِ بِهِ يفيدُ المبالغةَ،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/459.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 2/34.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/459.
(4) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 163.

كقولهم: زيدٌ عدلٌ، وزيدٌ رجلٌ عدلٌ، على معنى أنّه حَسَنٌ في نفسِه، وأمَّا على قراءة: ﴿حُسْنًا﴾ بالوصفيّة، فيكون التّقديرُ: قولوا قولًا حَسَنًا، فقامتِ الصّفةُ مقامَ الموصوفِ للمبالغةِ، فكلتا القراءتينِ أفادتِ المبالغةَ، وهذا من بديعِ التَّعبيرِ المختلفِ الألفاظِ المتَّفقِ الدّلالاتِ.

دلالة (أَلْ) في ﴿لِلنَّاسِ﴾:

شيوعُ الكلامِ الحسنِ إرشادٌ قرآنيٌّ شاملٌ لكلِّ النَّاسِ

(أَلْ) في ﴿لِلنَّاسِ﴾ جنسيةٌ، فتفيدُ معنى الاستغراقِ، وهذه المعاني البلاغيّةُ تَحُضُّ عَلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فيَنبغِي للمسلمِ المتخلّقِ بخُلُقِ القرآنِ أنْ يكونَ قولُه حَسَنًا، ففيهِ من معاني الخيرِ دقّها وجلّها، مَعَ المسلمِ وغيرِه، ومع المُطيعِ والعاصِي؛ فإنَّ أثرَ الكلمةِ الطَّيِّبةِ عظيمٌ في النَّفسِ، ويُعزِّزُه تقديمُ الجَارِّ والمَجرُورِ ﴿لِلنَّاسِ﴾ على المَفعُولِ به ﴿حُسْنًا﴾؛ فكلمةُ ﴿لِلنَّاسِ﴾ لم تخصَّ أهلَ دينٍ أو فئةً أو قومًا معيّنين.

دلالة حرفِ التِّرَاخِي ﴿ثُمَّ﴾:

استبعادُ صُدورِ التَّولِّي بعد أخذِ الميثاقِ!

أفادَت ﴿ثُمَّ﴾ التّرتيبَ والمهلةَ، فكأنّه قد أمهَلَهُم على تنفيذِ المطلوبِ، وبَقِيَ الأمرُ مدّةً من الزّمن، فلمّا أقيمتْ عليهم الحجّةُ، حُكِمَ عليهِم بالتّولّي والإعراضِ، وذهبَ الشّهابُ إلى أنَّ ﴿ثُمَّ﴾ للاستبعَادِ[1]، أي: استبعادُ أن يصدُرَ عنهم هذا التَّولي بعد هذا الميثاقِ؛ ففيه تشنيعٌ عليهم، والمعنيانِ متآيلانِ.

فائدةُ مَجيءِ الجملةِ الحاليَّةِ اسميَّةً:

الإعراضُ دَيْدَنُ بني إسرائيل ودالَّتُهم

جاءت الجملةُ الحاليَّةُ اسميّةً مُصَدّرةً بـ﴿وَأَنتُم﴾؛ لتفيدَ التوكيدَ، كما أَنَّ مجيءَ الخبرِ وصفًا مشتقًّا يدلّ على ثبوتِ الوصفِ للمبتَدأ، فبالغَ في التّأكيدِ، وكأنّه قال: (وأنتُم عادتُكُم الثّابتةُ الإعراضُ عن الحقّ)[2]، والحالُ هنا مؤسِّسَةٌ لامؤكِّدةٌ؛ أي: حَكَمَ عليهِم بالتّولّي وهم في حالِ الإعراضِ.

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 2/312.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/464.

بلاغةُ الإيجازِ بحذفِ المتعلّق:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾؛ حُذِفَ (عنْ) ومتعلَّقُها معَ الفعل ﴿تَوَلَّيْتُم﴾ ومع الوصف ﴿مُّعْرِضُونَ﴾؛ وذلك لأمرين:

ظـهـورُ معنى التَّركيـبِ دون النَّصِّ عليه من براعةِ السِّياقِ

أحدهما: الإيجازُ بدلًا من التّطويلِ الذي لا حاجةَ له؛ لِأَنَّ السّياقَ يدلّ على أَنَّ المحذوفَ هو: تولِّي بني إسرائيلَ عَنْ جَميعِ مَا أُخِذَ عليهم؛ أَي أَشْرَكتمْ بِاللَّه وَعَبَدتُم الْأَصنَامَ وَعقَقْتُم الوالدَيْنِ وَأَسأْتُمْ لِذَوي القُرْبى وَاليَتَامى وَالمَسَاكِينِ، وَقُلْتمْ لِلنَّاسِ أَفْحَشَ القَوْلِ وَتَرَكتُم الصَّلَاة وَمَنَعْتُم الزَّكاةَ، وأنتم معرضُون عن هذه الأوامرِ[1].

الآخر: أفادَ حذفُ المتعلَّقِ وَصْفَهم بالتّولِّي والإعراضِ مطلقًا؛ فكأَنَّ التّولّي عن الأوامرِ حَدَثٌ متجدِّدٌ لَهم، فكلّما أمِرُوا بفعلٍ تولَّوا عنه، والإعراضُ وصفٌ ثابتٌ لهم من غيرِ تقييدٍ بنوعِ الإعراضِ.

تأكيدُ جملةِ التّذييلِ لما قبلَها:

قولُه تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ جملةٌ تذييليّةٌ[2]، جاءَتْ لتقريرِ الكلامِ وتَتْميمِه، فأفادتْ تقريرَ مضمونِ ما قبلَها، وهو ﴿تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإعراضُ والتّوَلّي:

الفرقُ بين التّولّي عن الشّيءِ والإعراضِ عنه:

الإعـــراضُ أكـثرُ سُوءًا من التّولّي

المُعرِضُ وَالمُتوَلِّي يَشْتَرِكان في تركِ السّلوكِ السّليم، إِلَّا أَنَّ المعرِضَ أَسْوَأ حَالًا؛ لِأَنّ المُتَوَلِّي هو الّذي يُطمعُ في رجوعِهِ؛ لَأَنَّ تَوَلّيَهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/584.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/123.

قد يكون لِحاجةٍ تدعُو إلى الانصرافِ مع ثبوتِ العَقدِ، والمعرِضُ لا يُطمعُ في رجوعِهِ بوجهٍ؛ لِأَنَّ معنَى الإعراضِ هو الانصرافُ عن الشَّيءِ بالقلبِ[1]، ولَمَّا كانَ الإعراضُ أسوأَ قُدِّمَ التَّولّي عليه، للترقّي في الذّمِّ ، وَغَايَةُ الذَّم الجمعُ بَينهمَا.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/358، والرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/248، والكفوي، الكليات، ص: 2.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»